

120- الوسواس القهري في حساب مولانا النجوى (1)

مقتطف وموقف على موقف
هل ثمة حاجة إلى مزيد

ذكرت مرارا أن من أكبر ما منحتني إياه هذه النشرة اليومية، أنها أتاحت لي التعرف على كثير مما قرأته ونسيته، أو تصورت أنني نسيت، ذكرت سابقا أنني كم عثرت على كتاب عزيز هنا أو هناك، فأكتشف أنني ملأت هوامشه وبين سطوره بتعليقاتي في معاركى معه ونقدى له، ثم أنني نسيت كل ذلك، إلى أن عاودت تصفحه ثم قراءة بعضه، فيحضرني كل ما كان، الأغرب من ذلك هو ما يحدث لي حين أراجع ما كتبت، فأجد أنني نسيت أيضا، نسيت أنني كتبت ونسيت ما كتبت، وأكتشف أمورا عديدة في نفسى، وعن نفسى، وعن هذه المجالات كلها التي طرقت أبوابها مضطرا أو مختارا.

من خلال توارد هذه المفاجآت تبينت لي أمور كثيرة من أهمها أمران:

الأمر الأول: أنني اكتشف أن كثيرا من الرؤى والآراء والفروض التي افرح بالوصول إليها هذه الأيام (أى في البضع سنين الأخيرة) سبق أن سجلتها كتابة، وأن كثيرا منها منشور فعلا، وبنصه بالحرف الواحد، وخاصة عن المسائل الشائكة مثل الموت، والخلود، والله، والمصير، والعلاقات البشرية.

الأمر الثانى: هو أنني أجد نفسى على يقين من رؤيتي الآن - برغم أنها هي - تملأ وعيى بوضوح كاف، الأمر الذي أشك أنه كان كذلك حتى لو كانت المسألة أو المسائل قد كُتِبَتْ بنفس الألفاظ حرفيا.

ما هذا؟

هل يوجد بداخلى من يعرف هذه الأمور من ورائى؟ من ذا الذى يسرق منى القلم ويثبت ما بداخلى على الورق أو الحاسوب، ثم يسرّبهُ إلى النشر هكذا، ثم هأنذا أضطر أن أعيد اكتشافه لظروف لم أحسبها، من خلال ورطة لم أستعد لها. (طبعاً لم يحدث أى من ذلك، لكن هذا هو بعض ناتج دهشتي الآن)

والآن؟!

ما العمل وقد أصبح لي موقع خاص، ثم منتهى - بفضل الابن د. جمال ترك - يقال أنه لمناقشة فكر العبد لله؟

أليس الأول بهذا العبد لله أن يناقش (أو يراجع) هو فكره مثله مثل أي رائد من رواد هذا المنتدى؟

اقترح الابن د. أسامة عرفة في حوار الجمعة أمس أن أعيد قراءة (نقد) ما سبق أن تناولته ثم عاد يركني من جديد، وهو يقدم تلك النصوص التي كتبت عنها أو قرأتها ناقداً، وأن أفعل ذلك المرة تلو المرة دون تردد أو حرج، وقد رجح د. أسامة أن هذا قد يتيح فرصة لأن أعرف - ويُعرف - تطوري وتطور فكري، دون أن يلغى اللاحق السابق، حتى لو تناقضا!! وقد أقررت اقتراحه لكنني لم أعد بتنفيذه.

ثلاثة أعمال تتحدان لأقبل بعض هذا الاقتراح بشكل أو بآخر، وقد أشرت إلى اثنتين منها في عن يومية 2007-12-26 (قراءة النص: بين التفسير والاستلهام) الأول: حكمة المخانين (طلقات من عبادة نفسية) والثاني (مواقف النفري بين التفسير والاستلهام)، أما الثالث فهو: افتتاحيات مجلة الإنسان والتطور خلال عقدين، وكنت قد جمعتها في كتاب كنت أنوى نشره بعنوان "حكاية كلمة".

حين راجعت بعض مقدماتي أو كتاباتي وجدت أنني نفذت أحياناً هذا الاقتراح فعلاً من قبل، مثلاً: في كتابي "قراءات في نجيب محفوظ" كتبت أنقد قراءتي الباكرة لرواية "الشحاذ"، وكيف أتى عدلت عن هذا المنهج تماماً إلى حد الرفض، وأيضاً حين قدمنا روايته "السراب" في إحدى ندوات الجمعية، وقارنت ما سبق أن قدمته نقداً على هذا العمل بما أثبتته قبل ذلك في أطروحتي عن "العلوم النفسية والنقد الأدبي" اكتشفت في الندوة لزوم مثل هذه المراجعة الجسور لنقدي السابق.

ثم إنى أتذكر الآن ما تعلمته في دراستي عن "عقدة أوديب" وهو أنه إذا كان للنص مستويات ولقراءته - نقده - مستويات موازية أو متجاوزة، فهذا أمر يدل على قوة إجماع النص بقدر ما يدل على حركية وتطور النقد، سواء من قارئ/ناقِدٍ واحد أو أكثر.

حين تتبعت أسطورة أوديب وأنا أعيد النظر في استعمال سيمونيد فرويد لها في تفسير الاضطرابات النفسية والنمو النفسي، عجبت لتطور تاريخ تناول هذه الأسطورة الخالدة سواء بالكتابة أو بالاستعمال في التنظير أو على المسرح.

لو كان لدى الفرويد العظيم الفرصة التقنية - كما هي لدينا الآن - للتسجيل والتفريغ والمراجعة، إذن لتضاعف عطاؤه مئات المرات.

حتى الأعمال التي سجلت وفورا يحتاج الأمر معها إلى تدقيق وتحقق،

إذا كان الأمر كذلك، فلماذا أفعل ما أراه سخيفاً؟

يلج على شعور بالمسئولية تجاهه من لا يستطيع قراءة النص أو الموقف الأول بما هو، لما هو، أو يقاوم ما حاوله الموقف على الموقف، ليس فقط هو لا يستطيع، بل إنه قد يرفض ذلك، وهو عادة ما يتوقف محتجاً، أو خائفاً، أو متسائلاً، أو مدافعاً ضد ما وصله، أشعر بمسئولية تجاه هذا المتلقى وأنه حرم كنزا ثميناً هو من حقه مهما تكاسل أو تراجع.

ثم أرجع أتساءل بعد ذلك:

- هل يا ترى يزيده هذا التفسير قرباً من النص؟
- هل ياترى يشجعه التفسير على الصبر على النهل من بقية النصوص (بدون تفسير)؟
- أليس من الممكن أن يقوم التفسير بإضافة معرفية إلى النص، أو أن يغرى بتضفر معرفي مع نصوص أخرى علمية أو أدبية أو من أى مصدر آخر؟

- أليس في ترك التفسير تماماً نوع من الاستعلاء والموقف الفوقى؟

أكتب ذلك وأنا مازلت اقرب ميلاً إلى ترك التفسير وهو الأمر الذى حاولته تقريبا في الجزء الأول من نفس العمل (ص 15 - 52) والذى اعترض عليه محمد إبنى وآخرون وقبلت اعتراضهم، ويجدر أن أعترف أنهم لو لم يعترضوا لاعتزضت أنا على هذا المنحى، وربما هذا هو ما دعانى للمشاركة في الجزء الثانى مع د. إيهاب بمنهج آخر.

ومع ذلك هأنذا أرجع إلى محاولة الوقوع في نفس المراد تجنبه؟

لماذا؟

خذ مثلا الموقف الذى سوف نقدمه اليوم دون تعليق على التعليق وهو ما يمكن أن نتعلمه من موقف النفرى من **الوسواس**، ثم تابعنا غداً ونحن نحاول في مرحلة التفسير، ثم - ولماؤاخذة - احتمالات التطبيق (!!).

تهديد

من بين الاضطرابات النفسية جميعها لا أشهر من هذا الاضطراب المسمى **الوسواس القهرى**،

صحيح أن استعمال كلمتى "القلق" و"الاكتئاب" قد أخذتا حجماً أكبر فأكبر في العقود الأخيرة، لكن يظل الوسواس القهرى هو الاضطراب المحدد الذى له حضوره في "تاريخ المرض النفسى" ومدارسه النفسية المختلفة من أول التحليل النفسى حتى المدرسة السلوكية مروراً بما يسمى النموذج الطبى المختزل (الكيميائى الميكنى).

وللوسوسة حضورها المتميز أيضاً في مجال الدين والتدين بما لا أجد مجالاً لتفصيله الآن .

وفي دراسات متلاحقة ثبت أن محتوى الوسواس الفكرية (والطقوس والصور) في مصر (والبلاد العربية) أغلبها هو محتوى دينى متنوع

- فكيف تناولها نفرى؟
 - وكيف أعلن أنها تقربنا إلى الله لا تبعدنا عنه؟
 - وكيف أوصى إزاءها بالاقتحام والاستزادة، لا الهرب والإنكار والمقاومة؟
 - وكيف قرأها فاستلهمها شاب قس طبيب نفسى؟ (د. إيهاب)
 - وكيف قرأها فاستلهمها، هى هى، شيخ مغامر يعيد النظر ما دام حيا؟ (د. يحيى)
 - وهل ثم شئ يضاف بعد أن نورد المقتطفات الثلاث؟ (النص والقراءتان)
 - وهل ما سيضاف سيكون مفيدا أم مشوهاً أو مسطحا أو موضحاً؟
- أمام هذه الأسئلة، شعرت أنه لا مفر من أن نغامر بالتفسير والشرح والتأويل (غذاً) لنوصل بعض الرسالة إلى من لم يبلغهم أصلاً إسهام هذا النص التراثى الرائع فى تناول قضايانا اليومية فى مسألة بهذا الانتشار، وهذه الإشكالية القائمة فى الصحة والمرض؟

اقتراح وتجربة

- اليوم سوف اکتفى بتقديم النص مستقلا وملحقا به الاستلهامين دون تعقيب.
- وفى اليوم التالى (غداً) مباشرة سوف أحاول تقديم التفسير والشرح بعد إعادة كتابة النص أيضا
- بهذا يمكن أن يستغنى عن التفسير من اکتفى بالنص الأول (كما فعل البعض أو يريد أن يفعل مع قراءتى لأحلام فترة النقاهة أنظر حوار/بريد أمس)
- أما من استعصى عليه النص، وأراد المزيد ولو على حساب الجمال والشعر والتفرد، فليقامر بقراءة التفسير والشرح والنقد (غداً)، وأمره إلى الله،
- وأنا اعده أنه سينسأه، إذ لن يتبقى من هذا وذاك إلا ما يسمح له وعيه أن يتبقى.
- وهذا هو غاية المراد

المقتطف

وقال لى كل شئ يصدرك إلي
يصدرك ومعك بقية منك أو من غيرك
إلا الوسوسة فإنها تصدرك إلى وحدك.
وقال لى الوسوسة ردى إياك إلى بالقهر.
وقال لى أنظر إلى الوسوسة عمّ تخرجك
فلن تصلح إلا على مفارقتة
وبم تعلقك، فلن تصلح إلا على التعلق به
موقف وراء المواقف (ص64)
أيتها الخطيئة المباركة:

حينما أنا ضعيف فحينئذ أنا قوي،
وأنزع مني حتى تعلقى بحماية الوسوسة وتصديرها لي لك .
ولا أتعلق إلا بك لا بالكتاب ولا بالوسوسة ولا بالضعف ولا
بالقوة .

إيهاب
السماح السماح، كل هذا السماح !! إلى هذا المدى
السماح؟
حين تختلي بي الوسوسة لا يكون لها هم إلا إبعادك عني،
بإبعادك عنك.

هي تشغلي بك بزعم إنكارك، أقرب بها منك،
وما كنت أعلم ذلك، قبل ذلك.
وحيث تستدرجني الوسوسة إلى سوء الظن، إلى الخرف، إلى الخبز،
أصارع كل ذلك خوفاً من أن تغلبنى، ناسياً أنها لا تغلبنى إلا
إذا غلبتني.

أنت لا تغلب أصلاً، ولا تغلب أبداً، فمِمَّ الخوف؟
وهكذا تنقلب الآية عليها. تتسارع خطواتي إليك.
لم أستطع عمري كلمة "القهر" إلا هذا القهر.
تأتي الوسوسة فلا أملك أن أغو بعيداً عنك، ولو هنيهة.
تأتي فتذكرني بك حتى بالإنكار.
كنت أقاوم خائفاً من غلبتها، والآن، أنت تدعوني
للاقتحام.

كنت أخشى عليك حرفاً في نفسي، ناسياً أنك قائم بذاتك،
فيها، وبها، إليك
لا تضرك الوسوسة ولا تخفيك الحروف.
هي تختبر من أحلّ الحرف محلّك.
تخرجني الوسوسة عن الحرف الذي يخفيك عني، فتدجّلني أكثر
إليك.

تخرجني عن وهم صورته لك، فأفارقه لأجلك أنت أنت دونه!! .
تعلقني بإنكارك، فتدعوني أنت ألا أخاف أن أنكرك.
أجدني في رحابك لا تنكر.
الوسوسة قد تنكر الحرف لا تنكرك.
فاذا سلمنا لها كما أمرتنا، وجدناك دونه.
يحيى

وبعد

بعد أن أثبت هذه المقتطفات هنا هكذا شعرت بمعنى وفائدة
ما يمكن أن اسمه القراءة البطيئة ، يبدو أن مثل هذه
النصوص هي من الكثافة والقدرة على تحريك أغوار الوعي بحيث
لا ينبغي أن تقرأ في كتاب على بعضها، فإن جمعت غلى بعضها
البعض لأسباب عملية مثل النشر والتسجيل، فإن هذا ليس
دعوة لأن تقرأ على بعضها .

فرق بين أن تقرأ نصاً واقفاً بذاته لذاته، فتعود إليه،
وتبتعد عنه ثم تعود، وبين أن تقرأ صفحة، أو صفحات، تحوى ما
تحوى من فقرات.

تُرى ماذا تتلوها فقرات فماذا سوف يفعل التفسير بهذا
النص الذي هو في غنى عنه .

ربنا يستر

نرى غداً.

- يحيى الرخاوي "قراءات في نجيب محفوظ" 1992 الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- الوسواس القهري من منظور عربي اسلامي، وائل أبو هندی، عالم المعرفة عدد 293، يونيو 2003،

وسنورد له نقدا مفصلا في القريب العاجل.

- فرحت بجمال الغيطاني ذات مرة حين علمت منه، أن ما وثق علاقته بالتراث هو أنه كان إذا أحب نضاً راح ينقله بخط يده كتابة، وهذا أقرب إلى ما أعنيه هنا بالقراءة البطيئة.